

وُصُولُ ثَوَابِ الْقِرَاءَاتِ
وَسَائِرِ الْخَيْرَاتِ
إِلَى الْأَمْوَآتِ

الإمام الشيخ
عبد الله سراج الدين
رحمه الله تعالى ورضي عنه



**هذا البحث مقتبس من كتاب
(الأدعية والأذكار الواردة آناء الليل
وأطراف النهار)**

من الصفحة ١٣٠ حتى الصفحة ١٤٤

**للشيخ الإمام
عبد الله سراج الدين الحسيني
بناء على توجيهات ولده**

المهندس الشيخ

محمد محيي الدين سراج الدين

رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيمة

وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام

من موقعه الرسمي والوحيد

WWW.SRAJALDEN.COM

قسم مؤلفات الإمام –

المؤلفات المكتوبة وقبسات من المؤلفات

مدير الموقع :

الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

بيان وصول ثواب القراءات

وسائر الخيرات والمبرات إلى الأموات

لقد ثبت بأدلة القرآن والسنة وكلام الأئمة رضي الله عنهم أن الميت ينتفع بعمله ؛ وبعمل غيره :

أما أدلة القرآن العظيم :

فقد قال الله تعالى : { وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ } ، فإن الله تعالى أثنى على الخلف المؤمنين لما استغفروا لإخوانهم السابقين ، فهذا نصُّ على أن الأموات ينتفعون بدعاء الأحياء ، واستغفارهم ، مع أن دعاء الأحياء ليس من عمل الأموات ظاهراً ؛ بل قد جاء في القرآن الكريم أن كبار الرسل صلوات الله تعالى عليهم ، قد استغفروا للمؤمنين الذين لا قوهم ؛ والذين لم يروهم ؛ بل سيأتون بعدهم ، قال الله تعالى إخباراً عن نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام : { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا } .

فيقال لمن يُنكر وصول الثواب إلى الغير - يقال له : أتحب أن تشملك دعوة نوح عليه السلام بالمغفرة ، فتكون من المؤمنين ، أم أنت يائس من ذلك ؛ فتدخل في جملة : { وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا } . وقال الله تعالى إخباراً عن إبراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام : { رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ } فشمل دعاء الخليل كل مؤمن .

وقال الله تعالى للسيد الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : { وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ } .

أفترى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يتخلف عن أمر ربه سبحانه . حاشاه ، بل لا بد وأن يشمل استغفاره كل مؤمن وكل مؤمنة ، كلاً على حسب إيمانه ويقينه، فلولا أن المؤمنين ينتفعون بدعاء واستغفار الأنبياء لهم ما ذكر الله تعالى ذلك ، فدل على أن المؤمن ينتفع بعمل غيره ، بل قد أخبر الله تعالى عن كبار الملائكة صلوات الله تعالى على نبينا وعليهم أجمعين ، أنهم يستغفرون للمؤمنين ، قال الله تعالى : { الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ

وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ { الآيات الكريمة، فإذا كان المؤمن لا ينفعه عمل غيره فأبى فائدة في استغفار الملائكة والأنبياء له ، بل في هذه الآية دليل على أن الأنبياء صلوات الله تعالى على نبينا وعليهم ، هم الآن يستغفرون للذين آمنوا ، لأنهم قد التحقوا بالرفيق الأعلى ، فشملهم قول الله تعالى : {وَمَنْ حَوْلَهُ} أي : من الملائكة الأعلى ، وأولهم وأعظمهم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولهذا جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :

« حياتي خير لكم ، تحدثون ويُحدث لكم ، ووفاتي خير لكم ^١ تُعرض عليّ أعمالكم ، فما رأيت من خير حمّدت الله ، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم » رواه البزار ، وقد جَوَّد الحافظ العراقي إسناده ، وقال الحافظ الهيثمي : رجال إسناده رجال الصحيح ، وقال الحافظ السيوطي : إسناده صحيح .

وقد شرع الله تعالى الصلاة على الميت ، وما هي إلا دعاء واستغفار للميت ، وهي ليست من أعمال الميت ، بل هي أعمال المُصَلِّين عليه ، فلولا أن الميت ينتفع بعمل غيره لما شرع الله تعالى الصلاة على الأموات ، وقد روى مسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء » .

^١ ربما يقول بعض ضعفاء القلوب : إن هذا الحديث معارض بحديث الحوض في (الصحيحين) : إن رجلاً يُؤخذ بهم ذات الشمال ، فيقول صلى الله عليه وآله وسلم : « أمتي أمتي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك » .

فالجواب : إن هؤلاء كفار مُرتدون ، فلا تُعرض أعمالهم عليه صلى الله عليه وآله وسلم ، لأن فائدة العرض هي : إن رأى خيراً حمّد الله ، وإن رأى شراً استغفر لعامله ، وهذا إنما يكون في المؤمنين ، وأما الكفار فليس لهم خير يُحمدون عليه ، وما كان منهم من شر فإنه لا يُغفر ، لأن الله تعالى لا يغفر أن يشرك به ، فلا تعارض بين الحديثين .

وروى أبو داود ، عن عثمان رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا فرغ من دفن الميت ، وقف على قبره وقال : « استغفروا لأخيكم ، واسألوا له التثبيت ، فإنه الآن يُسأل » .

وأما الأحاديث النبوية : فقد دلت على وصول ثواب الصدقات ، والصيام ، والحج ، والقراءات ونحو ذلك ، كل ذلك يصل ثوابه إلى الأموات .

أما الصدقات : ففي (الصحيحين) عن السيدة عائشة رضي الله عنها ، أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله إن أُمِّي افتلتت نفسها - أي : ماتت فجأة - ولم تُوص ، وأظنها لو تكلمت تصدقت ، فهل لها أجر إن تصدقتُ عنها ؟

قال : « نعم » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم :

إنَّ أبي مات ولم يُوص ، أفينفعه أن أتصدق عنه ؟

قال : « نعم » .

رواه مسلم .

وأما وصول ثواب الصيام : ففي (الصحيحين) ، عن السيدة عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :

« من مات وعليه صيام صام عنه وليُّه » ٢ .

وأما وصول ثواب الحج : فروى البخاري ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن امرأة من جُهينة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت :

إن أُمِّي نذرت أن تحج ، فلم تحج حتى ماتت ، أفأحج عنها ؟

٢ أخذ بظاهره بعض الأئمة كالشافعي وغيره ، وأما الأئمة الحنفية فقالوا : بنسخه لدليل آخر ، وإنما يُفدى عن كل يوم أفطره الميت : نصف صاع من حنطة ، أو صاع من شعير ، أو قيمة ذلك .

قال : « نعم حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضِيَتِه ؟
اقضوا الله ، فالله أحق بالقضاء » .

وروى النسائي ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رجلاً قال : يا نبي
الله إنَّ أبي مات ولم يحج فأحج عنه ؟

قال : « أرأيت لو كان على أبيك دين أكنت قاضيه » ؟
قال : نعم ، قال : « فدين الله أحق » .

* * *

إهداء ثواب القراءة للأموات

واستحسان القراءة على القبور

وأما وصول ثواب القراءات للأموات فله عدة أدلة :

أولاً : الحديث الذي رواه الإمام أحمد ، وأبو داود وابن ماجّة ، وابن حبان ، والحاكم ، عن معقل بن يسار رضي الله عنه ، أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وسلم قال : « اقرؤوا على موتاكم يس »^٣ وهذا يشمل القراءة حال الاحتضار ، وبعد الوفاة ، لأن الحديث مطلق ، فلا يجوز تقييده بدون دليل . وفي رواية عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وسلم أنه قال : « قلب القرآن يس ، لا يقرؤها رجل يُريد الله والدار الآخرة إلا غفر الله له ، اقرؤوها على موتاكم » وهذا لفظ النسائي .

ثانياً : أسند الحافظ الخلال في جامعه : كتابُ القراءة عند القبور إلى علي بن موسى الحداد قال : كنت مع أحمد بن حنبل ومحمد بن قدامة الجوهري في جنازة ، فلما دُفن الميت جلس ضرير يقرأ عند القبر ، فقال له أحمد بن حنبل : يا هذا إن القراءة عند القبر بدعة .

فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد بن حنبل : يا أبا عبد الله ما تقول في مُبَشَّرِ الحلبي ؟ قال : ثقة .

فقال : كَتَبَتْ عنه شيئاً ؟ ، فقال : نعم .

قال : فأخبرني مبشر الحلبي ، عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج ، عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها ، وقال :

سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يوصي بذلك .

فقال الإمام أحمد : فارجع وقل للرجل الضرير يقرأ .

^٣ وما قيل في إسناده من المقال يرتفع بتعدد طُرُقِهِ فيحسن لغيره ، كما رمز إليه السيوطي رحمه الله تعالى .

وقال الإمام النووي : وروينا في (سنن) البيهقي بإسناد حسن : أن ابن عمّ رضي الله عنهما استحبا أن يُقرأ على القبر بعد الدفن : أول سورة البقرة وخاتمها .

وقال الحسن بن الصباح الزعفراني : سألت الشافعي عن القراءة عند القبر فقال : لا بأس بها .

وذكر الحافظ الخلال عن الشعبي قال : كانت الأنصار رضي الله عنهم إذا مات لهم الميت اختلفوا إلى قبره - أي : أكثروا الذهاب إلى قبره - يقرؤون القرآن عنده .

وأسند الحافظ الخلال ، إلى أبي بكر بن أبي بكر بن الأطروش أنه قال : كان رجل يجيء إلى قبر أمه يوم الجمعة فيقرأ سورة يس ، فجاء في بعض أيامه فقراً سورة يس ، ثم قال : اللهم إن كنت فسّمت لهذه السورة ثواباً فاجعله في أهل هذه المقابر - أي : اقسّم ثواب قراءة سورة يس بين أهل المقابر - .

فلما كان في الجمعة التي تليها ، جاءت امرأة فقالت له : أنت فلان ابن فلانة ؟

قال : نعم ، فقالت : إنّ بنتاً لي ماتت ، فرأيتها في النوم جالسة على شفير قبرها ، فقلت : ما أجلسك هنا ؟ - أي : على طرف القبر - فقالت : إن فلان ابن فلانة جاء إلى قبر أمه ، فقراً سورة يس ، وجعل ثوابها لأهل المقابر ، فأصابنا من روح ذلك ، أو غُفر لنا بذلك .

وقد نقل النووي في (شرح المجموع) وفي (الأذكار) أنّ الإمام الشافعي رضي الله عنه والأصحاب : نصوا على استحباب قراءة القرآن عند الميت .

ثالثاً : إن الاستغفار مطلوب من الأحياء للأموات : قال الله تعالى : {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ} الآية ، وكما دل عليه الحديث « أو ولد صالح يدعو له » وكما دل على ذلك أحاديث زيارة القبور ، فحيث ثبت ذلك كله ، فما المانع من قراءة القرآن عند القبر ، أو في غير موضع القبر وإهداء ثواب القراءة للميت ، سيّما إذا كانت بغية القارئ إنزال الرحمة والمغفرة والرضوان على الميت ، فهو يقرأ القرآن بقصد أن يُنزل الله تعالى الرحمة والرضوان

، والسرور والسكينة على الميت ، فهي قراءة تَضَمَّنَتْ دعاءً واستغفاراً ، وقد ورد في الحديث الصحيح ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، عن الله تبارك وتعالى أنه قال :

« مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ عَنْ مَسْأَلَتِي أُعْطِيَتْهُ أَفْضَلُ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ » .

وبهذا يُعْلَمُ أَنَّ الْقِرَاءَةَ عَلَى الْقُبُورِ لَيْسَتْ بِدَعَاةٍ سَيِّئَةٍ ، بَلْ أَمْرٌ مُسْتَحْسَنٌ شَرْعاً ، فَقَدْ أَوْصَى بِذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، وَفَعَلَهُ الْأَنْصَارُ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَمَا تَقَدَّمَ ، وَإِنَّ هَؤُلَاءَ لَيْسُوا بِمُبْتَدِعِينَ مَا لَيْسَ مِنَ الدِّينِ ، وَهَكَذَا فَعَلَهُ التَّابِعُونَ وَاتَّبَاعُهُمْ مِنْ غَيْرِ نَكِيرٍ .

وَيُقَالُ لِمَنْ يَدْعِي ضَعْفَ إِسْنَادِ ذَلِكَ إِلَى ابْنِ عَمْرِو بْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، وَيُقَالُ لَهُ : هَاتِ دَلِيلًا ثَابِتًا عَنْ ابْنِ عَمْرِو بْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، أَوْ تَحْرِيمِ الْقِرَاءَةِ لِلْأَمْوَاتِ ، فَإِنْ كَانَ خَيْرَ الْإِبَاحَةِ ضَعِيفًا فَخَيْرَ التَّحْرِيمِ بَاطِلٌ لَا أَصْلَ لَهُ .

هَذَا وَإِنَّ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ نُورًا وَسَكِينَةً ، وَرَحْمَةً تَنْزِلُ ، وَمَلَائِكَةً تَنْزِلُ وَتَدْنُو ، وَكُلُّ هَذَا مِمَّا يَأْنَسُ بِهِ الْمَيِّتَ وَيُنْعَمُ بِهِ ، وَيَأْتِيهِ مِنْهُ رَوْحٌ وَرِيحَانٌ .

قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِأَسِيدِ بْنِ الْحَضِيرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ لَيْلًا ، وَرَأَى أَمْثَالَ الْمَصَابِيحِ مُدْلَاةً بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنْزَلَتْ لِلْقُرْآنِ » وَفِي رِوَايَةٍ : « تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ نَزَلَتْ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ مَضَيْتَ لِرَأْيَتِ الْعَجَائِبِ » وَفِي رِوَايَةٍ : « تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ تَسْتَمِعُ لَكَ » .

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بَيْوتِ اللهِ ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ : إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ .

فَالْمَيِّتُ يَسْتَأْنَسُ بِالْقُرْآنِ وَيُنْعَمُ بِهِ وَيُرْتَاحُ بِرُوحِهِ ، وَيَسْكُنُ لِسَكِينَتِهِ وَيَسْتَبْشِرُ لَدُنْوَ الْمَلَائِكَةِ .

فإن قيل : إن الميت لا شعور له بذلك ولا إحساس .

قلنا : بل إن الميت يُحس ويشعر بكل كلام قيل عنده ، ولهذا شرع التسليم على الأموات في زياراتهم ، وما ذاك إلا لأنهم يسمعون ويُحسون ، فقد أوصى عمرو بن العاص رضي الله عنهما وهو في سياق السموت فقال : (إذا أنا متُّ فسننوا عليّ التراب سنناً^٤ ثم أقيموا حول قبوري قدر ما تُنحر جزور ويقسم لحمها ؛ حتى أستأنس بكم ، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي) رواه مسلم.

فدل على أن الميت يستأنس بالحاضرين عنده ، وإن خير ما يُؤنس به كلام الله تعالى.

وسياتي بقية الأدلة على تحسس الأموات وشعورهم إن شاء الله تعالى .

فإن قال قائل : كيف يصل الثواب إلى الأموات مع أن الله تعالى يقول : {وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى} .

فالجواب عن ذلك : إن السعي نوعان : سعي مباشر ، وسعي بالتسبب .

فالسعي المباشر هو مزاولته الإنسان للأعمال بنفسه ، وأن يعملها بنفسه ، كصلاته وصيامه ، وسائر أعماله الخيرية ، التي يعملها بنفسه .

وأما السعي بالتسبب فهو أن يتسبب في أعمال يعملها غيره ، ولكنه يكون هو واسطة فيها ، وسبباً في صدورها عن ذلك العامل ، يشير إلى هذا ماجاء في الحديث الذي رواه مسلم وغيره ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له» .

^٤ الشن هو الصب المتقطع ، والسن هو الصب المتصل كما في (النهاية) ، أي : صبوا التراب شيئاً فشيئاً ، أو مرة واحدة .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ : عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ ، أَوْ مَصْحَفًا وَرَّثَهُ ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّةِ وَحْيَاتِهِ ؛ تَلْحَقَهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ » .

رواه ابن ماجه بإسناد حسن ، والبيهقي ، وابن خزيمة .

وعن جرير رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا ، وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ ؛ مَنْ غَيْرَ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا ، وَوِزْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا ؛ مَنْ غَيْرَ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ » رواه مسلم وغيره .

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لبلال بن الحارث رضي الله عنهما :

« اعلم يا بلال » .

قال : ما أعلم يا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟

فقال : « إِعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ أَحْيَا سُنَّةٍ مِنْ سُنَّتِي قَدْ أُمِيتَتْ بَعْدِي : كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ مَنْ عَمَلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْوَرِهِمْ شَيْئًا ، وَمَنْ ابْتَدَعَ بِدْعَةً ضَالَّةً لَا يَرْضَاهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ : كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ عَمَلَ بِهَا ؛ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِ النَّاسِ شَيْئًا » قال المنذري : رواه ابن ماجه ، والترمذي وحسنه .

فمن سعى إلى الإسلام ، ودخل في زمرة المسلمين ، ومات على ذلك ، فقد تسبب في أن يناله من خير إخوانه المسلمين ، ومن معوناتهم في حياته وبعد مماته ، كما قال الله تعالى : { وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ } فالمؤمنون المتأخرون يدعون ويستغفرون للمتقدمين ، والمتقدمون يدعون ويستغفرون للمتأخرين ، كما قال الله تعالى : { رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ } .

ومن الدليل على ذلك : ما جاء في (مسند) الإمام أحمد وغيره ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، أن العاص بن وائل- وكان كافراً - نذر في الجاهلية أن ينحر مائة بدنة ، وأن هشام بن العاص نحر خمسة وخمسين ، وأن عمّرو بن العاص سأل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن ذلك - أي : هل ينفعه - فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « أما أبوك فلو أقر بالتوحيد فَصُمْتَ وتصدقت عنه نفعه ذلك » .

فمن مات على التوحيد فقد تسبب في أن تُقرأ له القراءات ، وتُهدى إليه الخيرات والحسنات ، لأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً .
وفي الحديث : « المرء مع مَنْ أحب » .

وفي الحديث : « هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » فمن جلس مع الصالحين ناله من الخير ما ينالهم ؛ بسبب انضمامه إليهم ؛ وإن لم يعمل مثل عملهم . كل ذلك يدلنا على أن السعي قد يكون بالمشاورة ، وقد يكون بالتسبب فيه ، والتسببات مختلفة متعددة ، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « الدال على الخير كفاعله ، والله يحب إغاثة اللهفان » رواه الإمام أحمد وغيره .

وروى الإمام أحمد والطبراني ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة ، فيقول : أنى لي هذه ؟ فيقول الله تعالى : باستغفار ولدك لك » .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال : « يَنْبَغُ الرجل يوم القيامة من الحسنات أمثال الجبال ، فيقول : أنى لي هذا ؟ »

فيقال : باستغفار ولدك لك » رواه الطبراني .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : سمعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول : « مَنْ استغفر للمؤمنين والمؤمنات : كَتَبَ اللهُ لَهُ بكل مؤمن ومؤمنة حسنة » رواه الطبراني بإسناد جيد .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه ، أنه سمع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول :

« من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كل يوم سَبْعاً وعشرين مرة أو خمساً وعشرين مرة ؛ كان من الذين يُستجاب لهم ، ويرزق بهم أهل الأرض »
رواه الطبراني .

وعن عمر رضي الله عنه قال : كنا نُمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر - أي : طلب المغفرة من الله تعالى لهم - حتى سمعنا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول - أي: يقرأ - : {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ }
وآله وسلم يقول - أي: يقرأ - : {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ }

وقال : « أخرجت شفاعتي لأهل الكبائر يوم القيامة » رواه البزار بسند جيد .

سماع الأموات ما يقال عندهم من السلام

والقراءات والدعوات ونحو ذلك

أولاً : قد شرع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ زيارة الأموات ، والتسليم عليهم بصيغة الخطاب ، وذلك أن يقول الزائر : «السلام عليكم دار قوم مؤمنين» .

و لا شك أن هذا دليل على سماعهم ، ولولا ذلك لكان عبثاً ، بمنزلة الخطاب للمعدوم والجمادات ، كالأحجار ، وأحكام الشرع لا يوجد فيها عبث .

وكثيراً ما كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يزور أهل البقيع ويسلم عليهم ، وحاشا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يسلم على قوم لا يسمعون ولا يعقلون .

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب (القبور) : باب معرفة الموتى بزيارة الأحياء ، ثم أسند إلى السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « ما من رجل يزور قبر أخيه ، ويجلس عنده ؛ إلا استأنس ورد عليه حتى يقوم » .

ثم أسند إلى أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : (إذا مر الرجل بقبر أخيه يعرفه ؛ فيسلم عليه رد عليه السلام وعرفه ، وإذا مر بقبر لا يعرفه ؛ فسلم عليه رد عليه السلام) وَمِثْلُ هَذَا لَا يُدْرِكُ بِالرَّأْيِ .

ثم أورد آثراً كثيرة عن السلف الصالح رضي الله عنهم أنهم كانوا يستحبون زيارة القبور يوم الجمعة ، أو ليلة الجمعة ، أو الليلة التي بعد يوم الجمعة - أي : ليلة السبت إلى طلوع الشمس - وكانوا يقولون : إن الأموات تعرف زوارهم في هذه الأوقات ، يكون فيها انكشاف عام للكل ، حتى من عليه حقوق لم يؤدها ، أمّا في غير هذه الأيام فيُكشَفُ لمن كان غير محبوب بحقوقٍ عليه . والله تعالى أعلم .

ثانياً : جاء في (الصحيحين) أن الميت يسمع قرع نعال الذين شايّعوا جنازته ، حينما ينصرفون عنه ، ويرجعون إلى بيوتهم .

ثالثاً: ثبت في (الصحيح) أَنَّ المِيتَ يَسْتَأْنِسُ بِالْمُشَيِّعِينَ لِحِزَانِهِ بَعْدَ دَفْنِهِ ، فَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ فِي (صَحِيحِهِ) فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ ، عَنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ - وَهُوَ فِي سِيَاقِ الْمَوْتِ - : (إِذَا أَنَا مِتُّ فَلَا تَصْحَبْنِي نَائِحَةً وَلَا نَارًا ، فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَسَنُوا ° عَلَيَّ التُّرَابَ سَنًا ، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جُزُورٌ ٦ وَيُقَسَّمُ لِحْمَاهَا ، حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أَرَا جُعُ بِهِ رَسُلَ رَبِّي) .

رابعاً : جرت عادة المرسلين صلوات الله تعالى وسلامه على نبيينا وعليهم أجمعين ، جرت عاداتهم أنهم بعد أن ينصرهم الله ، ويهلك أعداءهم ، يخرجون إلى مهالك الأعداء - أي : مواضع هلاكهم - فينادونهم بما فيه تحسير وتأسيف ، وتوبيخ وتعنيف ، كما أخبرنا الله تعالى عن قوم سيدنا صالح : { فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٧٨) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ } .

وأخبرنا الله تعالى عن قوم شعيب : { فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩١) الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنَّ لَمْ يَكُنُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (٩٢) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ } .

وكذلك أيضاً فعل السيد الأعظم سيدنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مع قتلى المشركين يوم بدر ، كما في (الصحيحين) عن أبي طلحة رضي الله عنه ، أن نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أمر يوم بدرٍ بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش ، ففُذِّقُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرِ خَبِيثٍ مَخْبَثٍ ، وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرِصَةِ - أَيِ : سَاحَةِ الْقِتَالِ - ثَلَاثَ لَيَالٍ ، فَلَمَّا كَانَ بِبَدْرِ الْيَوْمِ الثَّلَاثِ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا ، ثُمَّ مَشَى ، وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ وَقَالُوا : مَا نَرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ ، حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكِيِّ ، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ :

° أي : صبوا التراب .

٦ أي : قدر نحر جمل وتقسيم لحمه .

«يا فلان بن فلان ، ويا فلان بن فلان ، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله ،
فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟»
فقال عمر رضي الله عنه : يا رسول الله ما تُكلم من أجساد لا أرواح لها ؟
فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لِمَا
أقول منهم » وفي رواية : « ولكن لا يجيبون » .
فإذا كان أعداء الله تعالى يسمعون بعد موتهم ما يُقال عندهم ، فكيف بأحباب
الله تعالى ، وأوليائه ، والمؤمنين به تعالى .